

غزة لا تحتل كل هذا العبث المميت باسم المقاومة



15 نوفمبر 2019 - 08:40

إبراهيم أبراش

لأن كلمة المقاومة عند الشعب الفلسطيني الخاضع للاحتلال قدسية لأنها تعني مقاومة الاحتلال وطريق الخلاص منه ونيل الحرية، ولأن المقاومة حق تعترف به كل الشرائع الوضعية والدينية فإن الفلسطينيين ومن يناصروا عدالة قضيتهم وقفوا إلى جانب حركات المقاومة دون كثير تفكير بأيدولوجية هذه الحركات ومصادر تمويلها أو ارتباطاتها الخارجية، إلا أن المسار الذي أخذته بعض فصائل المقاومة وخصوصاً ممارستها لمقاومة خارج إطار استراتيجية وطنية وغياب الهدف الوطني الواضح وارتباطها بجهات خارجية لها أجندتها ومشاريعها الخ، كل ذلك يتطلب تجاوز العاطفة والنوايا الحسنة وضرورة إعمال العقل والتفكير جدياً في كل ما يجري تحت عنوان المقاومة أو الجهاد وخصوصاً عندما نرى تحويل قطاع غزة لساحة تجارب لمشاريع وأجندات خارجية وخروج بعض جماعات المقاومة عن السياق والهدف الوطني .

كتبنا كثيراً عن مفهوم المقاومة وأنه لا يُعد بمقاومة حزبية أو فصائلية إن لم تكن في سياق استراتيجية وطنية ولتحقيق هدف وطني مُجمع عليه، ومن العبث أن يكون لكل حزب استراتيجيته الخاصة للمقاومة أو أن يخوض مواجهة مع العدو تحت عنوان المقاومة بينما الأحزاب الأخرى خارج المعادلة أو لها نهج وتوجه للمساومة والمهادنة مع نفس العدو، أو أن تمارس المقاومة دون إذن وموافقة أو تنسيق مع عنوان الشعب الفلسطيني ومن يمثله، أو أن تخوض حركة مقاومة حرباً مفتوحة مع إسرائيل تُوقع مئات الشهداء والجرحى والخراب والدمار كرد على اغتيال قائد حزبي كما جرى مع حركة حماس عام 2012 عند اغتيال القائد الحمساوي الجعبري وكما جرى خلال الأيام الأخيرة مع الجهاد الإسلامي عندما اغتالت إسرائيل القائد بهاء أبو العطا .

وسط المواجهات الساخنة مع إسرائيل وسقوط الشهداء والجرحى بفعل العدوان لا يمكن للفلسطيني إلا أن يقف إلى جانب المقاومة ويُندد بالعدوان ويُجدد كل من يتصدى للعدو، هكذا كان حالنا طوال المواجهات المسلحة مع إسرائيل وعبر تاريخ الصراع وخصوصاً خلال موجات العدوان الأخيرة على قطاع غزة 2008، 2012، 2014 وما بينهما وبعدهما من مواجهات، ولكن أن تتدلع حرب أو مواجهة بين حزب ودولة إسرائيل ويكتوي بهذه الحرب كل أهالي قطاع غزة رداً على اغتيال قائد في هذا الحزب بينما تقف غالبية القوى وحركات المقاومة موقف المتفرج فإن الأمر يحتاج لوقف مصارحة ومكاشفة حول هذا العبث المُدمر للشعب والقضية الوطنية باسم المقاومة أو الجهاد .

هل أن هؤلاء القادة، مع احترامنا وتقديرنا لدورهم الجهادي، أكثر أهمية وقدسية من الأرض التي يجري تهويدها كل يوم ويتم استيطانها دون رد من المقاومة؟ هل هم أكثر قدسية من القدس التي ضاعت وأصبحت عاصمة لدولة الكيان دون رد من الفصائل؟ هل هم أكثر قدسية من الشهداء الذين يتساقطون كل يوم في جمعات مسيرات العودة

وفي الضفة الغربية؟ لماذا يستدعي استهداف قائد حزبي حرباً تُسقط عشرات ومئات الشهداء والجرحى وتدمر الممتلكات؟ وهل أصبحت كل حركة مقاومة لها مفهومها ورؤيتها للمقاومة وأهدافها؟ هل أصبح شعبنا وخصوصاً في قطاع غزة حقل تجارب لكل حزب ولكل مشروع إسلامي مرتبط بالخارج؟ وهل أصبح هدف حركات المقاومة فقط الدفاع عن الحزب وقياداته؟ أو اصطناع مواجهات لجلب تمويل ودعم خارجي؟ أو الدفاع عما هو متاح له من سلطة واهية على جزء من أرض خرجت منها إسرائيل لخلق فتنة داخلية؟ .

جاءت عملية اغتيال أبو العطا في ظل وجود اتفاق تهدئة بوساطة مصرية وقطرية ودولية ويمكن اعتبار الأمر طبيعياً حيث عودتنا إسرائيل على انتهاك كل الاتفاقات والعهود مع الفلسطينيين، لأن مفهومها للهدنة أو التهدئة أنها تهدئة مقابل تهدئة وأن يتوقف الفلسطينيون عن عملياتهم ضد إسرائيل بينما لإسرائيل الحق بالدفاع عن نفسها كلما شعرت أن أمنها مهدد، كما تأتي في ظل أزمة سياسية في إسرائيل حول تشكيل الحكومة واتهامات لنتنياهو أنه ضعيف أمام المقاومة في غزة وبالتالي يريد ننتيا هو إثبات أنه غير ضعيف ويستطيع تلقين غزة درساً من خلال عدوانه الأخير، كما تأتي في ظل التوتر المتزايد بين واشنطن وتل أبيب من جانب وإيران وحزب الله من جانب آخر وإسرائيل تعتقد أنها بضررب الجهاد الإسلامي وإضعافه تستطيع تحييد الجبهة الجنوبية في أية مواجهة قادمة مع الجبهة الشمالية، كما أن إسرائيل تروم خلق شرخ أو فتنة فلسطينية داخلية، كما صنعت الانقسام والفتنة سابقاً من خلال فصل غزة عن الضفة وقبلها انقسام الفلسطينيين ما بين مشروع سلطة ومشروع مقاومة فإن الأمر يتكرر على مستوى قطاع غزة حيث أصبحت حماس تمثل السلطة ومعنية بالحفاظ على سلطتها في غزة في مقابل المقاومة التي تمثلها الجهاد الإسلامي غير المشارك في سلطة حماس وغير المستفيد من خيراتها، وهو أمر ينذر بفتنة ما بين حماس والجهاد .

بغض النظر عن أهداف إسرائيل من عدوانها الحالي وكل موجات العدوان السابقة، فإن أهلنا في قطاع غزة يصبرون ويعانون ويقدمون الشهداء ولكن ليس لأنهم مع توجهات وممارسات الأحزاب والحركات التي صادرت الحق بالمقاومة وحولته لصالح أجندة خارجية أو مشاريع ارتزاق ثوري وجهادي، بل لأنهم جزء من الشعب الفلسطيني الصبور والذي لا يمكنه إلا أن يقف بجانب كل من يقاوم الاحتلال، ولكن للصبر حدود . وبعد كل ما جرى وما آلت إليه الأمور مع حركة حماس والآن مع حركة الجهاد فإن الأمر يحتاج لمراجعة نقدية استراتيجية لعمل حركات المقاومة .

مع تأكيدنا على أننا ما زلنا في حالة حرب وصراع مفتوح مع الاحتلال، وأن إسرائيل دولة احتلال وإرهاب ولن نتوقف عن إرهابها إلا بعد تصفية القضية الوطنية متوسلة كل الطرق من حروب ومناورات سياسية وخلق فتن داخل الحالة الفلسطينية، إلا أن طريقة رد فصائل وحركات المقاومة على هذا العدوان تتم بارتجالية ولا ترتقي إلى درجة الإحساس بالمسؤولية الوطنية كما أنها لم تستفد من تجربة منظمة التحرير وبالتالي فإنها تُحول شعبنا وخصوصاً في قطاع غزة لحقل تجارب .

لم تُعد الشعارات الفارغة لقادة الفصائل في المقاومة ومن يدور في فلكهم من كتبة مأجورين التي تهدد إسرائيل بالويل والثبور ومسحها من الخارطة خلال أشهر أو سنوات تقنع أحداً بل أصبحت تثير الغثيان، ويجب وقف أزعومة أن الشعب يموت ويجوع من أجل فلسطين، والفلسطينيون اكتشفوا أنهم يموتون وتهدم بيوتهم ويجوع أبناؤهم ليس من أجل فلسطين بل من أجل طبقة سياسية فاشلة وفسادة ترتع في النعيم وترسل أبناءها للدراسة أو العمل والاستثمار في تركيا وبقية بلدان العالم .

وأخيراً، وحتى لا يفهم من كلامنا أننا ضد مبدأ المقاومة الذي نؤكد عليه لأننا ما زلنا تحت الاحتلال، ولكن وحيث إن المقاومة فعل حربي فيجب أن تكون في سياق استراتيجية وطنية تُحدد شكل المقاومة وهدفها وتوقيتها وعلاقتها بالعمل السياسي والدبلوماسي، وهذا لن يحدث إلا بالوحدة الوطنية وإنهاء الانقسام .

Ibrahemibrach1@gmail